تفسير إبن كثير

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

قوله تعالى حكاية لدعاء إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)قال ابن جرير : يعنيان بذلك ، واجعلنا مستسلمين لأمرك ، خاضعين لطاعتك ، لا نشرك معك في الطاعة أحدا سواك ، ولا في العبادة غيرك .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إسماعيل بن رجاء بن حيان الحصني القرشي ، حدثنا معقل بن عبيد االله ، عن عبد الكريم : (واجعلنا مسلمين لك) قال : مخلصين لك ، (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) قال : مخلصة .وقال أيضا : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا المقدمي ، حدثنا سعيد بن عامر ، عن سلام بن أبي مطيع في هذه الآية (واجعلنا مسلمين) قال : كانا مسلمين ، ولكنهما سألاه الثبات .وقال عكرمة : (ربنا واجعلنا مسلمين لك) قال االله : قد فعلت . (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) قال االله : قد فعلت .وقال السدي : (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)

يعنيان العرب .قال ابن جرير : والصواب أنه يعم العرب وغيرهم ; لأن من ذرية إبراهيم بني إسرائيل ، وقد قال االله تعالى : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) [الأعراف : 159]قلت : وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي ; فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم ، والسياق إنما هو في العرب ; ولهذا قال بعده : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) الآية ، والمراد بذلك محمد صلى االله عليه وسلم ، وقد بعث فيهم كما قال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) [الجمعة : 2] ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود ، لقوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول االله إليكم جميعا) [الأعراف : 158] ، وغير ذلك من الأدلة القاطعة .وهذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام ، كما أخبر االله تعالى عن عباده المتقين المؤمنين ، في قوله : (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) [الفرقان : 74] . وهذا القدر مرغوب فيه شرعا ، فإن من تمام محبة عبادة االله تعالى أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد االله وحده لا شريك له ; ولهذا لما قال االله تعالى لإبراهيم ، عليه السلام : (إني جاعلك للناس إماما) قال : (

ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) وهو قوله : (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : 35] . وقد ثبت في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، رضي االله عنه ، عن النبي صلى االله عليه وسلم أنه قال : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له "" وأرنا مناسكنا " قال ابن جريج ، عن عطاء (وأرنا مناسكنا) أخرجها لنا ، علمناها .وقال مجاهد (وأرنا مناسكنا) مذابحنا . وروي عن عطاء أيضا ، وقتادة نحو ذلك .وقال سعيد بن منصور : حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : قال إبراهيم : " أرنا مناسكنا " فأتاه جبرائيل ، فأتى به البيت ، فقال : ارفع القواعد . فرفع القواعد وأتم البنيان ، ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به إلى الصفا ، قال : هذا من شعائر االله . ثم انطلق به إلى المروة ، فقال : وهذا من شعائر االله ؟ . ثم انطلق به نحو منى ، فلما كان من العقبة إذا إبليس قائم عند الشجرة ، فقال : كبر وارمه . فكبر ورماه . ثم انطلق إبليس فقام عند الجمرة الوسطى ، فلما جاز به جبريل وإبراهيم قال له : كبر وارمه . فكبر ورماه . فذهب إبليس وكان الخبيث أراد أن يدخل في الحج شيئا فلم يستطع ، فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به المشعر الحرام ، فقال : هذا

المشعر الحرام . فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به عرفات . قال : قد عرفت ما أريتك ؟ قالها : ثلاث مرار . قال : نعم .وروي عن أبي مجلز وقتادة نحو ذلك . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي العاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، قال : إن إبراهيم لما أري أوامر المناسك ، عرض له الشيطان عند المسعى ، فسابقه إبراهيم ، ثم انطلق به جبريل حتى أتى به منى ، فقال : مناخ الناس هذا . فلما انتهى إلى جمرة العقبة تعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم أتى به الجمرة الوسطى ، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات ، حتى ذهب ، ثم أتى به الجمرة القصوى ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، فأتى به جمعا . فقال : هذا المشعر . ثم أتى به عرفة . فقال : هذه عرفة . فقال له جبريل : أعرفت ؟ .